

الدعاية الفرنسية في مطلع القرن 20 م بين ولاء ومواجهة الجزائريين.

ط. د. حمزة بكري؛ أ. د. محمد دادة؛

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر. hbekri76@gmail.com

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر. dadamohamed31@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/06/02؛ تاريخ القبول: 2019/11/27؛ تاريخ النشر: 2019 / 12/30.

الملخص:

بالإضافة إلى التجنيد الإجباري بداية القرن 20 م، اتخذت فرنسا أساليب إضطهادية ضد الجزائريين، حيث أسرعت في جلب عدد كبير إليها من أجل الولاء لها لكسب رهان الصراع القائم بينها وبين ألمانيا والدولة العثمانية، عن طريق الدعاية والاعتراف داخل وخارج الجزائر، في المقابل عملت الدولة العثمانية على استقطاب الجزائريين عن طريق خطابات الجامعة الإسلامية، في حين الدعاية الألمانية مست جميع الميادين لتفجير ثورة عامة في إفريقيا الشمالية ضد فرنسا التي تحركت موظفة مختلف الوسائل الإعلامية والتصريحات وغيرها للتأكيد على ولاء الجزائريين لها واستعدادهم للمشاركة في حربها ضد الدولة العثمانية وألمانيا. وفي ظل هذا التنافس ردّ الجزائريون على الدعاية الفرنسية عن طريق توظيفهم للأدب الشعبي والشعارات لتوعية الشعب وتحذيره من خطورة الوضع. بالرغم من وقوفها ضد الدعاية الألمانية والعثمانية في الجزائر فشلت فرنسا في إقناع الجزائريين بالولاء المطلق لها.

الكلمات المفتاحية: التجنيد الاجباري؛ الولاء الجزائري؛ الدعاية الفرنسية؛ الجامعة الإسلامية.

Abstract :

In addition to the forced conscription at the beginning of the 20th century, France used oppressive tactics against Algerians, quickly bringing in a large number for her allegiance to win the bet between the German-

Ottoman conflict, through propaganda and enticements within Algeria and abroad. On the other hand, the Ottoman state polarized Algerians through Islamic university speeches, while German propaganda reached out to all fields to trigger a general revolution in north Africa against France, in which employed the different media, the statements and others to affirm Algerians' loyalty and willingness to take part in its war against the Ottoman state and Germany.

In this competition, Algerians responded to French propaganda by using popular literature and slogans to make people aware of the gravity of the situation.

Despite her stand against German and Ottoman propaganda in Algeria, France has failed to convince Algerians of her absolute loyalty.

Keywords: force conscription ; Algerian allegiance ; French propaganda ; Germany ; Islamic University.

مقدمة:

الحديث عن مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى في صفوف الجبهة الفرنسية يقودنا إلى محاولة التعرف على البرامج السياسية والأساليب المنتهجة من طرف الحكومة الفرنسية من أجل التوصل إلى كسب عدد كبير من مختلف طبقات المجتمع الجزائري وجذبهم إليها قصد مشاركتهم في الحرب، وتضليل الرأي العام بأن الأحوال العامة داخل الجزائر عادية ولا توجد اضطرابات ولا ثورات، وكل هذا عن طريق دعاية واسعة سخرها الفرنسيون لكسب رهان الصراع داخل الجزائر وخارجها، بالإضافة إلى تصديها للدعاية الألمانية والعثمانية.

ولبلوغ أهدافها وظفت فرنسا وسائل عديدة ومتنوعة، تمثلت في الاغراء والقمع والاضطهاد في آن واحد مغتمة في كل ذلك عاملي الأمية والفقر.

بدأت عمليات تجنيد المسلمين الجزائريين بطريقة اجبارية ثم تلتها قوانين وممارسات غير إنسانية، الأمر الذي حرك مشاعر الجزائريين من خلال ردود فعل مباشرة وأخرى غير مباشرة طيلة فترة الحرب.

ومن هنا نطرح الاشكال التالي:

هل نجحت الدعاية الفرنسية في كسب ولاء الجزائريين ومواجهة الجبهات المنافسة لها؟ وما هي الأساليب والوسائل المسخرة لذلك الغرض؟ وفيما تمثلت ردود فعل الجزائريين في التصدي لها؟

1 - التجنيد الإجباري وموقف الجزائريين منه:

قام المستوطنون الفرنسيون بالضغط على الحكومة الفرنسية من أجل سن قانون التجنيد الإجباري على المسلمين الجزائريين، وبالفعل باشرت الحكومة الفرنسية في تطبيقه في 31/01/1912 بحيث تم تجنيد الشباب الجزائري البالغ من العمر 20 سنة لمدة عامين (ضيف الله، ع. 2013: 47) ويجبر خلالها على الاعتراف بأن ما يقوم به هو تطوع (ضيف الله، ع. 2013: 48)، وبعد انتهائه من الخدمة يصبح تابعاً لفرق الاحتياط لمدة سبع سنوات، بالمقابل يجند الفرنسي مدة عام فقط (ضيف الله، ع. 2013: 47).

وأثناء الفترة الممتدة ما بين سنتي 1908 و 1914 أصدرت فرنسا عدة قوانين منها الإعفاء من تطبيق قانون الأهالي وغيرها من أجل تحقيق أهدافها وإقناع الجزائريين بحسن نيتها اتجاهها، غير أن الجزائريين استتكرروا قرار التجنيد الاجباري (ضيف الله، ع. 2013: 48) وذلك عن طريق عمليات الشغب والعرائض وحملات موجهة من طرف الصحافة الوطنية، بالإضافة إلى توزيع منشورات في المقاهي والأسواق تدعو للمعارضة، فكانت المظاهر سلمية سنة 1908 (سعد الله، أ.ق. 1992: 177) وتواصلت تلك الاحتجاجات، لكن بعد الموافقة على قانون التجنيد الاجباري في فيفري 1912 اضطرت الأوضاع في الجزائر وتحولت المظاهرات من سلمية إلى أعمال عنف و اغتيالات (سعد الله، أ.ق. 1992: 178) وانتفاضات كالتي ظهرت ببني شقران القريبة من مدينة معسكر (تابتي، ح. 2006: 60).

وأفتى بعض العلماء بتكفير الذين يموتون في الجيش الفرنسي، فبدأت مغادرة البلاد خاصة من تلمسان والجزائر وبلاد جرجرة نحو بلاد الشام والدولة

العثمانية (ضيف الله، ع. 2013: 48) بحيث وصل عدد المهاجرين إلى ألف شاب فارين من التجنيد (سعد الله، أ.ق. 1992: 179) ومع تزايد عددهم تخوفت فرنسا من ردود فعل الجزائريين (تابتي، ح. 2006: 60)، ولكن في ظل تلك الظروف القاسية والقوانين الجائرة لم يستطع الجزائريون القيام بثورات، حيث انقسمت القبائل وانتشر الفقر والبؤس وهيمن المستوطنون على اقتصاد البلاد لخدمة أغراضهم فقط (مقلاتي، ع. 2011: 175).

ومع حلول عام 1914 بدأ عبد الحميد الثاني السلطان العثماني بتأسيس جامعة إسلامية، الأمر الذي أخاف فرنسا، وبدأ تيار المحافظين المتمثل في العلماء وزعماء الطرق الصوفية وقدامى المحاربين يدعو إلى الانضمام تحت راية الجامعة الإسلامية مطالباً بإلغاء قانون الأهالي والتجنيد الاجباري والتجنس (فركوس، ص. 2011: 05).

وبعدما ارتفع عدد الخسائر البشرية الفرنسية أثناء الحرب، قررت فرنسا العودة إلى التكتيف من عملية التجنيد الاجباري، فصدر مرسوماً رئاسياً تضمن بعض الاصلاحات المعنوية والمادية في التجنيد (تابتي، ح. 2006: 61)، واستخدمت لهذا الغرض أسلوباً ليناً وآخر عنيفاً في آن واحد، بالإضافة إلى عامل الاغراء بهدف تهدئة الأوضاع وقمع التمردات، إلا أن الوضع ظل على حاله مضطرباً (تابتي، ح. 2006: 63-65)، فأرغم الجزائريون على المشاركة في الحرب بجانب فرنسا التي وعدت ولم تف، مثل وعود كليمنصو حين خاطب الكتيبة الافريقية بقوله: "ثقوا بأن هذه الراية عندما تعود من الحرب مخرقة برصاص النصر سيكون لكم نصيب من هذا النصر"، لكن لم يتغير الوضع وأدى إلى انفجار الانتفاضات والمظاهرات كالتالي حدثت بجبال الأوراس و الهقار عام 1916 (بن العقون، ع. 1984: 62) كما التزمت الحكومة الفرنسية بحق الحرية وتقرير المصير إذا ما انتصرت على ألمانيا وحلفائها (بن العقون، ع. 1984: 63).

2 - الدعاية الألمانية العثمانية وتأثيرها:

بدأت الدعاية الألمانية منذ عام 1900 حسب كتابة أحد الفرنسيين وأنها غطت جميع الميادين الدينية والسياسية والاقتصادية، وكتب آخر أن الألمان حاولوا تدعيم علاقاتهم مع الجزائريين باستعمالهم كل الطرق لإثارتهم ضد فرنسا (سعد الله، أ.ق. 1992: 240).

لقد اتضح بأن هدف ألمانيا منذ 1913 كان إحداث ثورة شاملة في كامل إفريقيا الشمالية ضد فرنسا، بحيث أكدت بعض المذكرات وجود الخطة التي تستطيع ألمانيا من خلالها خلق صعوبات في المنطقة عن طريق الزعماء الدينيين والسياسيين، وقد تماشى قذف عنابة وسكيكدة بالقنابل مع هذه الخطة حسب بعض الكتاب؛ غير أن الهجوم لم يؤثر معنوياً كما كان منتظراً (سعد الله، أ.ق. 1992: 241).

وكانت الحملة الدعائية الألمانية نشيطة في الجزائر منذ سنة 1905 (سعد الله، أ.ق. 1992: 213)، وانتشرت بين الجزائريين عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى التحاق بعضهم بصفوف ألمانيا وكلهم أمل في انتصارها مع الدولة العثمانية، وفيما بعد استقلال الجزائر بالطبع، وكان آنذاك الأمير علي ابن الأمير عبد القادر يشرف على تدريب الجزائريين ويشجعهم على الفرار من الجيش الفرنسي (مقلاتي ع. 2011: 176).

كما حاولت كل من الدعاية الألمانية والعثمانية إقناع المسلمين بالثورة أو الفرار من التجنيد، ومن أجل ذلك كانت الاستخبارات الألمانية تقوم بطبع عدة منشورات باللغة العربية الفصحى وبالدارجة الجزائرية (شارل، ر.آ. 2003: 421) ودعت إلى المطالبة بالاستقلال فكتبت في هذا الشأن إحدى المنشورات في سويسرا في نوفمبر 1915 بأنه آن أوان صحوة الإسلام، ويتوجب على المسلمين تحرير الأوطان الإسلامية من أيدي الكفار، وحن الوقت لرفع الصوت للجهر بأن الجزائر للمسلمين الجزائريين، وتونس للمسلمين التونسيين (شارل، ر.آ. 2013: 422).

فقد ساهمت الدعاية الألمانية والعثمانية بطرق عديدة للتعبير عن فكرة الثورة لدى الجزائريين من خلال معاني بسيطة لكنها كانت معبرة، وشجعهم على الهجرة والبحث عن حياة أفضل، غير أن تلك الدعاية لم تلق حرية مطلقة داخل الجزائر بحيث تصدت لها فرنسا وحاربتها في الداخل والخارج (تابتي، ح. 2006: 60).

أرجعت الدعاية الفرنسية حرب العصابات والثورات المسلحة في الجزائر ضد فرنسا إلى العملاء الألمان والأتراك على حد تعبيرها، فقد نشرت الصحافة الألمانية انتفاضات الجزائريين ضد فرنسا وأيدتها، ففي سنة 1915 حجرت فرنسا منشورات ألمانية كانت موجهة إلى الجنود الجزائريين يعلن من خلالها العلماء الجهاد ضد الحلفاء وأنه من واجبهم كمسلمين القيام بذلك، كما دعت إلى انضمام جنود المغرب العربي إلى الألمان والعثمانيين ضد فرنسا (سعد الله، أ.ق. 1992: 243)، وكانت تهدف تلك الدعاية إلى إضعاف معنويات الجيش الفرنسي. كما أقيمت في برلين نشاطات للجنود الجزائريين، فحسب الكتاب الفرنسيين فإنهم قد عملوا في ألمانيا وعرضت عليهم الأموال والاعراض، وافتتحت مسجداً لهؤلاء الجنود وسط احتفالات كبيرة، وتم تهيئتهم جيداً على مبادئ الجامعة الاسلامية (سعد الله، أ.ق. 1992: 244)، التي كانت في أوجها آنذاك (سعد الله، أ.ق. 1992: 195)، فمن نتائج نشاطها الهجرة نحو الخارج الذي كان كرد فعل عنيف ضد التجنيد الاجباري (سعد الله، أ.ق. 1992: 119)، وشن الحملات ضد السياسة الفرنسية في الجزائر عبر الصحافة (سعد الله، أ.ق. 1992: 126)، بالإضافة إلى تعيين الأمير علي باشا ابن الأمير عبد القادر نائباً لرئيس المجلس الوطني العثماني (سعد الله، أ.ق. 1992: 194).

3 - البرامج الدعائية الفرنسية:

قامت فرنسا بالرد على دعاية الجامعة الاسلامية عن طريق توقيفها للهجرة وتصريحها بأن أحوال المهاجرين الجزائريين مزرية، كما وصفت فرنسا نفسها

بأنها أمة إسلامية (سعد الله، أ.ق. 1992: 126)، فكانت بداية لحرب نفسية فضلاً عن تقديم المساعدات والأوسمة والمعاملة الحسنة محاولة منها جذب المهاجرين الجزائريين نحوها، فاستدعت بذلك الأمير عمر أحد أبناء الأمير عبد القادر في 1911 إلى باريس لاستلام وسام وأعدت رسائل الاحتفالات والاعلام داخل الجزائر وفي المشرق لتظهر بأن المهاجرين الجزائريين لم يكونوا ضد فرنسا (سعد الله، أ.ق. 1992: 127).

وقام الكولون باحتكار الصحافة التي كانت توجهها الادارة الفرنسية كصحيفتي "الأخبار" و"المبشر" بهدف اطلاع الجزائريين على الأخبار الرسمية وتوجيههم لصالح فرنسا. ودعت صحيفة "فرنسا الاسلامية" ما بين 1913 و 1914 إلى تهيئة الرأي العام الجزائري للحرب، ووظفت صحيفة "أخبار الحرب" ما بين 1914 و 1918 لنفس الغرض الدعائي (سعد الله، أ.ق. 1992: 134)، حيث كانت توزع الصحف كل أسبوع عبر أنحاء الجزائر من أجل إعلام الجزائريين عن أخبار الحرب حسبما تمليه التقارير الرسمية الفرنسية (المدني، أ.ت. 1350: 369).

بعد الاعلان عن الحرب العالمية ألقى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "لوتو" بيانين منفصلين في 4 أوت 1914 وجههما إلى السكان، أحدهما إلى الكولون والآخر إلى الجزائريين، وبدأ البيان الأول بقوله: "أيها الجزائريون إن اللحظة الفاصلة قد حانت"، أما البيان الثاني صرح من خلاله بأن ألمانيا قد هاجمت فرنسا لأنها كانت تغار من قوتها، وذكرهم بأن فرنسا حريصة على حفظ السلام والأمن فيضيف قائلاً: "ابقوا متعاونين معنا وإخواناً لنا...".

ولم يكن كل ذلك إلا بداية لاستغلال فرنسا للإسلام ضد ألمانيا والدولة العثمانية، وكذلك من أجل كسب ولاء الجزائريين.

وبعد الهجوم البحري الذي قامت به ألمانيا على السواحل الجزائرية، ألقى الحاكم العام خطبة وجهها إلى الجزائريين أخبرهم فيها: "بأن فخاً قد نُصب إلى

الإسلام ولكنكم ستكتشفونه بنظرتكم البعيدة وبولائكم المعتاد وإنكم سوف لا تخدمون بهذه المناورات الألمانية وإنكم سوف تضربون عرض الحائط بالاستفزازات النفاقية الألمانية العثمانية التي تريد أن تستغل عواطفكم الدينية"، ثم طالب "لوتو" الجزائريين بأن يخلصوا لفرنسا خاصة في ذلك الوقت الصعب ويصلوا من أجل انتصار الدول وتحطيم ألمانيا التي استتكر موقفها هي والدولة العثمانية لاستغلال العواطف الدينية في إثارة الجزائريين ضد فرنسا (سعد الله أ.ق. 1992 : 248 ، 249).

وحسب الكاتب "آجرون" لم يظهر الجزائريون بمظهر المتقبل للدعاية الألمانية العثمانية، فرغم النداءات الملحة إلى الفرار من الجيش الفرنسي ظل عدد الجنود الجزائريين الملتحقين بالجبهة الألمانية قليلاً، وقدر بـ: 3 آلاف مع نهاية 1916، ولم يُسجل أي تمرد في صفوف الجنود الجزائريين (شارل ر.آ. 2013 : 424).

وصرح الحاكم "لوتو" بأن الدولة العثمانية لم تعد قادرة على حماية الاسلام كونها تحت سلطة ألمانيا التي بدورها لا تقدر على حمايته (سعد الله أ.ق. 1992 : 250).

وأضاف الكاتب آجرون بأنه لا يمكن الحكم من خلال بعض المظاهر المعادية والأغاني الشعبية المعارضة بوجود موقف عام جزائري في صالح الألمان والعثمانيين، فلقد كانت الرقابة البريدية بين 1914 و 1916 تعرب عن دهشتها من المشاعر المناصرة لفرنسا التي عبر عنها العمال الجزائريين المقيمين في فرنسا، وفي 1917 وردت في رسائل محجوزة روح الانهزام والشم لفرنسا، ويرجع ويقول بأن خلال تلك السنة لم تسجل في الجزائر أي مظاهرة للتعبير عن الاستياء السياسي بل تحسن الجو السياسي أكثر من ذي قبل، وتجنّد حوالي 60 ألف دون حدوث أي اضطراب (شارل ر.آ. 2013 : 426).

كما أفادت تقارير فرنسية بإعلان فئات متنوعة من الجزائريين عن استعدادهم للحرب ضد ألمانيا والدولة العثمانية، فعبروا عن طريق تصريحات الجمعيات والشخصيات ذات النفوذ، والتطوع في الجيش، والاشتراكات لمساعدته، بالإضافة إلى وجود عدة زوايا وطرق دينية ساعدت السلطة الفرنسية عن طريق القيام بعملية التسجيل ودعوة الجزائريين لضرورة المشاركة إلى جانب فرنسا في حريها ضد الألمان عبر خطب الجمعة، وتواصلت عمليات الدعم طيلة الحرب من طرف الموالين لفرنسا بالجنود والأموال، لكن هذه التقارير لا تعبر عن رأي الجزائريين حول قضية التجنيد (تابتي، ح. 2006: 66- 68) ومن أجل العمل على جذب المجندين إليها، التجأت فرنسا إلى استعمال الموسيقى وإقامة الولائم، ففي نهاية 1915 أصدر قائد الجيش الفرنسي في الجزائر منشوراً خاصاً بطريقة التجنيد المغربية، فعرضت على الفقراء ولأئمة كثيرة ولفمت أنظار الفلاحين الأميين بالموسيقى والرقص على شكل طوابير لإغرائهم، وللبهنة على كرم فرنسا التي حاولت من خلال ذلك تحويل أنظار الجزائريين عن الدعاية الألمانية العثمانية وفي جذبهم للخدمة في الجيش الفرنسي.

كذلك حاولت أن تلبى بعض حاجيات الجنود بحيث بنت لهم في 1916 مسجداً للصلاة وللاستقبال الجرحى في أوروبا، وكان التركيز على الأئمة المتخرجين من المدارس الفرنسية الجزائرية لتأدية الصلاة والدعاية لصالح فرنسا. وعندما سئلوا عن انطباعهم بعد زيارتهم للجنود الجزائريين في المستشفيات، صرح هؤلاء الأئمة الموالون لفرنسا بأن كل الجزائريين كانوا مستعدين أن يجودوا بدمائهم من أجل فرنسا، فردّ الجزائريون على هذه الدعاية بتسخير وسائل للتعبير بطرق غامضة وغير مباشرة كي لا يفهمها الفرنسيون، مثل الأدب الشعبي. بالإضافة إلى ما وظفته فرنسا، قررت في هذا الشأن بناء دار لاستقبال الحجاج الجزائريين في مكة المكرمة تسمى "دار الضيوف" والهدف منها حماية الجزائريين من الدعاية الألمانية والعثمانية، لكن كان هناك شكوك حول

ما إذا سُمح لفرنسا في تلك الظروف ببناء تلك الدار كما ادعت، إضافة إلى عدم السماح للجزائريين عام 1915 بالحج (سعد الله أ.ق. 1992 : 253، 254).

كما ادعت فرنسا بأنها هي والحلفاء أبطال الحضارة والانسانية والديمقراطية، فصورت جريدة "فرنسا الإسلامية" على أنها المؤيدة لقضية المسلمين في جميع أنحاء العالم، ولكن بالرغم من دعاية فرنسا عن ولاء الجزائريين المطلق إلا أنه بناءً على تقارير شاهدي عيان رسميين فرنسيين، فقد استعملت فرنسا طرقاً غير انسانية لإرغام الجزائريين على الخدمة في جيشها ومرابطين لإصدار فتاوى لصالحها مستغلة الأهالي باسم الدين، فالجزائريون الذين حاربوا مع الحلفاء ليس من أجل قضية فرنسا أو تعبيراً عن ولائهم لها كما كان يروج (سعد الله أ.ق. 1992 : 232، 233).

وبالرغم من أن فرنسا أرادت أن تظهر للعالم بأن الجزائريين كانوا مخلصين لها، فإنها قد واجهت اضطرابات سياسية وعاطفية ووطنية مستمرة، والتي أدت في الأخير إلى إيجاد ثغرة في الستار الفرنسي (سعد الله أ.ق. 1992 : 211).

طالب الفرنسيون من رجالهم المختارين الذين يسمونهم "بني وي وي" بأن يعلنوا ولاءهم المطلق لفرنسا وأن يطلبوا من الأهالي فعل ذلك، ففي هذا الشأن نشرت كل وسائل الإعلام الفرنسية عدداً كبيراً من البرقيات والرسائل والتصريحات والتقارير عن اجتماعات جرت بين الفرنسيين بحضور الجمعيات الدينية والقياد والمرابطون والأعيان وممثلو المجالس المحلية، وبناءً على رسائل الاعلام الفرنسية كان هؤلاء قد دعوا الأهالي الجزائريين ليؤكدوا ولاءهم لفرنسا، بل أعلنوا أيضاً استعدادهم للحرب ضد الألمان والعثمانيين، وكتب مؤلف فرنسي بأن ولاء الجزائريين لفرنسا كان يفوق كل العواطف الأخرى حتى العاطفة الدينية (سعد الله أ.ق. 1992 : 195).

ومن أجل حصول فرنسا على ولاء الجزائريين الذي سخرت له دعاية واسعة، وبالإضافة إلى الأساليب المذكورة سابقاً وظفت الإرهاب، وفكرة القدرة

أي ما حدث هو بإرادة الله فلا يستطيع الجزائريون تغيير أي شيء، ودعاية نشيطة بين الجنود الجزائريين في ميدان المعركة (سعد الله أ.ق. 1992: 200، 201)، لم تنجح رسالة فرنسا الاسلامية، فقد فشلت في منع الجزائريين من الثورة وفي تحسين صورة الفرنسيين في الخارج خاصة على الصعيد العربي، بل نجاحها اقتصر بشكل محدود في مقاومة الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر، ولقي الجزائريون تأييداً من الخارج ونتائج إيجابية تحققت، فحدثت المقاومة السياسية والثورة المسلحة وحرب العصابات، وكلها كانت تشكل خطراً دائماً على فرنسا التي حاولت أن تقوم ببعض الإصلاحات والقوانين كنتيجة لضغوط خارجية وضغط كبير من الحركة الوطنية وبعض الثورات وغيرها (سعد الله أ.ق. 1992: 256، 257).

4 - المواجهات الجزائرية للمشاريع الفرنسية:

خلال الفترة الممتدة ما بين 1900 و 1914 نشطت صحف جزائرية مثل "الإسلام" و"الجزائر" بهدف توعية الجزائريين وإعلامهم بالوضع العام، كما كان لصحيفة "المغرب" دوراً مؤثراً على الجزائريين، وكان من كتاب هاته الصحيفة محمد ابن أبي شنب وصاحبها الفرنسي بيير فونتانه (سعد الله أ.ق. 1992: 134، 135).

ومع بداية الحرب قامت الدعاية من طرف رجال الدين تدعو لرفض التجنيد الاجباري (تابتي، ح. 2006: 69)، وعبر الجزائريون عن مشاعرهم تجاه فرنسا عن طريق الرسائل والشعر الشعبي الذي وصف معاناة الجنود الجزائريين وعائلاتهم في الجزائر (تابتي، ح. 2006: 71)، ونُشرت منشورات وكتيبات في اسطنبول باللغة العربية من توقيع أعضاء لجنة "اتحاد وتقدم" التي أرسلت لشخصيات جزائرية تدعو ضد الهيمنة الفرنسية، كما تم بعث وثائق من ألمانيا عرضت فيها الاساءات الفرنسية للإسلام والاعلان عن الجهاد.

وفي نوفمبر 1915 تم نشر عبر كتيب: "الجزائر للمسلمين الجزائريين وتونس للمسلمين التونسيين"، ثم تلتها منشورات أخرى تنادي بالاستقلال.

وفي عام 1916 تم نشر كتيبان في تونس والجزائر، عرض الأول البربرية الفرنسية والآلام التي انجرت عن ذلك، والثاني كانت له نشرتين بالعربية وترجمة للألمانية وواحدة بالفرنسية في عام 1917 تحت عنوان "شكاوي الشعوب المقهورة تونس والجزائر"، أيضاً نشر الأمير علي باشا ابن الأمير عبد القادر نداءً للمسلمين الذين يخدمون في الجيوش المتحالفة لنجدة الخلافة والاسلام والمدن المقدسة وتحرير الجزائر وتونس والمغرب، وعرض نواب تونسيون مطالب سكان الجزائر المنادية ب: "جزائريون مسلمون نحن وسنبقى جزائريين مسلمين"، وطالبوا في مذكرة بالاستقلال التام للشعب الجزائري والتونسي (مؤلف مجهول، 2013: 289، 290).

وتم إلصاق على جدران المساجد ملصوقات نصها: "هذا زمان الصمت فإذا تكلمت الباطل فستعيش ولكنك إذا تكلمت الحق فستموت، فقد عبرت تلك الأقوال الشعبية عن الاحتجاجات (سعد الله، أ.ق. 1992: 194).

قام الفارون من التجنيد بتكوين لجان في جنيف وبرلين واسطنبول لاستقلال افريقيا الشمالية ونشروا دعاية واسعة ضد فرنسا منادين بالحرية، وقام الجزائريون بحملة سياسية في الجزائر وخارجها وتظاهروا واحتجوا ونشروا منشورات ووظفوا الأدب الشعبي بالرغم من ادعاء فرنسا بأنهم كانوا مخلصين لها (سعد الله، أ.ق. 1992: 202، 203) بحيث عبروا من خلاله عن شعورهم المعادي لفرنسا، فكانت تعرض أغاني سياسية وأمثال شعبية للشكوى الجماعية من الحالة المزرية ووصف المعاناة الخاصة بالجزائريين من الحرب وشعور أهلهم بالجزائر والدعاء بالنصر لألمانيا والدولة العثمانية والهزيمة لفرنسا (سعد الله، أ.ق. 1992: 207).

أما في العدد الثاني لدورية مجلة المغرب التي أصدرتها لجنة استقلال الجزائر وتونس كُتب فيها: "إننا جزائريون مسلمون وسنبقى جزائريين مسلمين" رداً على الفرنسيين الذين ادعوا بأن الجزائريين كانوا رعايا فرنسيين.

وقامت لجنة أخرى بحملة دعائية واسعة تثقيفية وطنية ضد فرنسا شجعت على هروب جنود افريقيا الشمالية من الجيش الفرنسي وعملت على استقبالهم وتكوينهم الفكري ثم أرسلتهم إلى بلادهم للثورة أو إلى الشرق الأدنى ليحاربوا مع الدولة العثمانية (سعد الله، أ.ق. 1992: 209).

وفي 7 جانفي 1916 تأسست في برلين لجنة من أجل استقلال الجزائر وتونس التي حررت منشورات وألفت كتباً باللغات العربية والألمانية والفرنسية، ومن أشهرها باللغة الفرنسية: "تظلمات الشعوب المستضعفة تونس والجزائر"، كما كانت النداءات والمعلومات تنشر في الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية في المناطق المحتلة وتوزع في مراكز اعتقال جنود شمال افريقيا (شارل، ر.آ. 2013: 422، 423).

واعتبرت حرب العصابات وثورتي الأوراس والبقار خير دليل على أن ولاء الجزائريين لفرنسا ما هو سوى أكذوبة كان الغاية منها الدعاية فقط (سعد الله، أ.ق. 1992: 223).

الخاتمة:

بالرغم من السياسة الاضطهادية والاجراءات الاغرائية والدعاية الواسعة التي مارستها الحكومة الفرنسية في حق الشعب الجزائري من أجل استغلاله وتوظيفه لصالحها، إلا أن الجزائريين استطاعوا أن يصدوا ويُفشلوا كل مشاريع المستعمر والموالين له بشتى الطرق، مع حسن تعاملهم مع تلك الظروف في التوعية والعمل السياسي الذي مهد للاستقلال، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الروح القوية التحررية والايمان بالقضية الجزائرية وبالانتماء لهذا الوطن.

قائمة المراجع:

-بن العقون عبد الرحمان بن ابراهيم، (1984). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920 -1936، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

- تابتي حياة، (2006). الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وانعكاساتها على الجزائريين في القطاع الوهراني، رسالة ماجستير غير منشورة لنييل شهادة الماجستير في (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة وهران -السانيا، الجزائر.
- سعد الله أبو القاسم، (1992). الحركة الوطنية الجزائرية، ط 4. لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- شارل روبيير أجرون، (2013). تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، الجزائر: دار الأمة.
- ضيف الله عقيلة، (2013). التنظيم السياسي والاداري للثورة 1954-1962، الجزائر: دار القافلة.
- فركوس صالح، (2011). محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر 1912-1962، الجزائر: مديرية النشر لجامعة قالة.
- المدني أحمد توفيق، (1350 هـ). كتاب الجزائر، الجزائر: المطبعة العربية.
- مقلاتي عبد الله، (2011). المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962، الجزائر: منشورات سيدي نايل.
- مؤلف مجهول، (2013). الشبان الجزائريون -الجزائر الفتاة(مراسلات وتقارير 1837-1918)، الجزائر: دار ثالة.

